(ما) و(لا) النافيتان
والفروق بينهما

أ. د. مكي الحسني(*)

الأداة (ما) على اثني عشر وجهاً، منها:

(ما) النافية، والاستفهامية، والموصولية (بمعنى الذي)، والتعجبية... وبمعنى (مَن) للتفخيم، كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ [الليل: ٣]: أي القادر العظيم القدرة الذي قَدِرَ على خلق الذكر والأنثى من ماء واحد. وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ [آل عمران: ٣٦]. قال الإمام الزمخشري في الكشاف في تفسير هذه الآية: «**تعظيماً** لمولودها، وتجهيلاً لها بقدْرِ ما وهب لها منه، والمقصود بـ (ما) السيدة مريم أم سيدنا عيسى عليه السلام». لذا يقال - عند الحديث عن رجُل عظيم -: وهو ما هو!

١ - إن (لا) يمكن أن **تعمل عمل (ليس)** بلغة أهل الحجاز. قال الشاعر:

تَعَزَّ فلا شيءٌ على الأرض باقياً ولا وَزَرٌ مما قضى الله واقيا

(الوَزَر: الملجأ والمُعتصَم).

فهي تدخل على المبتدأ والخبر، فترفع المبتدأ (الذي يصير اسمها) وتنصب الخبر (الذي يسمى خبرها). وهي - عاملةً ومهملةً - تنفي الجنس برجحان؛

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

لأن النكرة في سياق النفي تعمّ، ما لم يقترن الكلام بقيد دال على نفي الواحد، كقولك: لا رجلٌ في الدار بل رجلان.

٢- (لا) **النافية للجنس تعمل عمل إنَّ**، فهي تدخل على المبتدأ والخبر، فتنصب المبتدأ الذي يصير اسمها، ويكون **مبنيّاً** على الفتح في محل نصب، إلا إذا كان مضافاً أو شبيهاً بالمضاف[(١)]، وترفع الخبر (الذي يسمى خبرها). ومعناها **نفي جنس ما بعدها** المتصل بها، نحو: ﴿لَارَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢]، و(لا رجُلَ في الدار). فهذا يعني **نفي وجود جنس الرجال**، أمّا (لا رجلٌ في الدار) (لا هنا = ليس) فهذا نفي وجود رجل واحد. وربما كان هناك رجلان أو رجال.

ولكن يقال أيضاً: (ما من رجلٍ في الدار). وكلتا العبارتين **نصٌّ في نفي الجنس**، فما الفرق بينهما؟

العبارة المنفية بـ (لا) **جوابٌ** لسؤال حاصل أو مقدَّر هو: (هل من رجلٍ في الدار)؟ وهذا الجواب يكون إعلاماً للمخاطب بما لم يكن يعلم ، أو ما نُزِّل هذه المنزلة. أما العبارة المنفية بـ (ما) **فهي ردٌّ على قولٍ وتصحيحُ ظنّ**.

٣- (لا) تفيد النفي، وتعطف بشروط ثلاثة:

أ- أن يتقدمها **إثبات**، نحو (أقبل زيد لا عمرو)، أو **أمر**، نحو (أرسلْ سعيداً لا خالداً)، أو **دعاء**، نحو (غفر الله لك لا سارقِك) أو **تحضيض**، نحو (هلّا تكرم سعداً لا مازناً)، أو **تَمَنٍّ**، نحو: (ليت لي بستاناً لا حديقةً).

ب- ألّا تقترن بعاطف، فإذا قلت: (ما جاء سليم ولا خالد) كانت الواو هي العاطفة و(لا) زائدة **لتوكيد النفي**.

جـ- أن يتغاير متعاطفاها نحو (أقبل رجل لا امرأة) بخلاف (أقبلت هند

(١) فحينئذٍ يصبح معرباً، نحو: لا رَجُلَي شَرٍّ محبوبان؛ لا قبيحاً خُلُقُه ممدوحٌ.

لا امرأة)؛ لأن هند امرأة!

٤- وتدخل (لا) على **المعارف** فيجب **إهمالها وتكرارها**، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[يس: ٤٠]، ونحو: (لا محمد حاضر ولا خالد مسافر)؛ وذلك لأنها عند ذاك لا يراد بها إلا إشراك أكثر من طرف في النفي، كأن يقول لك قائل: (خالد كاتب وإبراهيم شاعر)، فتقول: (لا خالد كاتب ولا إبراهيم شاعر). وهذا من باب **دخولها على الجُمل**.

٥- وقد تدخل (لا) على **الأسماء المفردة**، وهي العاطفة، نحو (جاء محمد لا خالد)، وتدخل على **الخبر** نحو: (هو لا شاعر ولا كاتب)، وعلى **النعت** نحو قوله تعالى: ﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ [الواقعة: ٤٣-٤٤]، وقوله: ﴿ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ [الواقعة: ٣٢-٣٣]، وعلى **الحال**، نحو (جئتُ لا مسرعاً ولا مبطئاً).

ولا تقع (ما) في هذه المواضع الأربعة، فلا يقال (جاء محمد ما خالد)! ونلاحظ عند دخولها على المعرفة والخبر والنعت والحال أنه **يجب تكرارها**، لأن المراد حينئذ هو نفي أكثر من حالة. فإذا أريد نفي حالة واحدة، تُستعمل (غير) فيقال: (هو رجل غيرُ كريم)، (هذه فاكهة غيرُ ناضجة)، (رأيت سعيداً غيرَ راكب).

٦- ومن أقسام (لا) النافية (لا) المعترضة بين الجار والمجرور، نحو (جئت بلا زاد) و(غضِب من لا شيء).

٧- وتدخل (لا) على **الفعل المضارع**، فلا تُقيّده بزمن على الأرجح، ويرى النحاة أنها تخلِّصه للاستقبال.

والحق أنها قد **تكون للحال**، كقوله تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴾

[الصافات: ٩٢]، وكقولك: لا أدري، لمن سألك عن شيء تجهله.

وقد **تكون للاستقبال**، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة: ١٧٤].

وقد **تكون للاستمرار**، كقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وكقولك: فلان لا يُريح ولا يستريح. وتقع جواباً للقسم، كقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥].

٨- ولا تدخل (لا) على الفعل الماضي **لإفادة النفي** مفردة، فلا يقال: (لا جاء فلان) بل (ما جاء فلان)، بل حين تدخل على الماضي **يجب تكرارها** نحو قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١]، ونحو قولك: (لا جَلَبَ خيراً ولا دفع ضرّاً) **إلا في حالتين**:

أ- إذا كان المراد **الامتناع عن الفعل في المستقبل**، نحو: (والله لا فعلتُ ذلك أبداً). ورُوِيَ عن الجاحظ أنه قال: (... والله **لا تركتُ النادرةَ** ولو قتلتني في الدنيا وأدخلتني النار في الآخرة). وقال الأعرابي للخليفة معاوية الذي نبّهه إلى الشعرة في لُقمته: والله **لا آكلتُك** بعد اليوم! وكتب قاضي البصرة سوّار بن عبد الله إلى الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور الذي طلب منه أن يُخرج أرضاً (متنازعاً عليها) من يدي فلان التاجر ويدفعها إلى فلان القائد: «واللهِ الذي لا إله إلا هو **لا أَخرجْتُها** من يدي فلان التاجر إلا بحقّ!».

* وكقول أحدهم: «فَوَاللهِ **لا نسيتُ** ذلك اليوم أبداً!» طوق الحمامة لابن حزم/ ٢٠٦.

* وقول الآخر: لا زِلْتَ أو آخُذَ حقِّي منك.

هنا (زِلْتَ) من زال يزول زوالاً: تَحوَّل (تنقَّل) وانتقل من موضع إلى آخر. و(أو) بمعنى (إلى أنْ)، **وينتصب** بعدها الفعل **المضارع**، ومعنى العبارة: لن تَذهبَ إلى أنْ آخُذَ حقِّي منك!

* قال أحدهم لِعُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، أَتَقِفُ لهذه العجوز هذا الوقوف كلَّه؟ فأجابه: والله لو حَبَسَتْني من أول النهار إلى آخره ما زِلْتُ إلا للصلاة المكتوبة! العجوز هي خولة بنت ثعلبة التي نزلت بشأنها سورة المجادلة.

ب- **أو إذا أريد الدعاء**[٢] نحو: (لا فُضَّ فُوْك؛ لا سمح الله، لا قَدَّر الله؛ لا عَدِمتُك؛ ولا أراك الله مكروهاً، لا جَعلَ الله لك حاجة إلى لئيم). أعاذنا الله من البلاء، وسَتَرنا في كفايته، و**لا سلبنا** ما بنا من نعمته.

ويحتاج دخول (**لا**) و(**ما**) **على الفعلين** (**زال، يزال**) إلى مزيد بيان. فهذان الفعلان ناقصان يدخلان على المبتدأ، فيرفعانه وينصبان الخبر. ويلزم هذين الفعلين تقدمُ أداة النفي، **فيُدَلُّ بهما على الاستمرار**.

يقال: مازِلتُ أفعل كذا، **وما زال الهواء بارداً، وما يزال الهواء بارداً**، وما زلت بزيدٍ حتى فعل كذا، ولكن **لا يقال** في الإخبار: (لا زال الهواء بارداً). **وهذا خطأ شائع جدّاً!** بل (ما زال أو لا يزال الهواء بارداً)، لأن (لا) تدخل على الماضي (زال) والمضارع (يزال) **لتفيد الدعاء** كما ذكرنا آنفاً، نحو: (لا زال بيتك عامراً) و(لا تزال سبّاقاً إلى الخير).

٩- (ما) أيضاً تعمل عمل (ليس) بلغة أهل الحجاز، فتدخل على

(٢) تُستعمل بعض الأفعال بصيغة الماضي مجرّدةً من (لا) في أسلوب الدعاء بالخير، وهو - من غير شك - يشير إلى المستقبل، نحو: سامَحكَ الله، حيّاك الله وبَيّاك، رضي الله عنه، رحمه الله، غفر الله له، أحسن الله إليك (أُخرِج الكلام في صورة الخبر ثقةً بالاستجابة).

المبتدأ والخبر فترفع المبتدأ (فيصير اسمها) وتنصب الخبر (فيصير خبرها)، نحو: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١]. ولكنها لا تفعل ذلك إلا إذا تحققت ثلاثة شروط، وهي:

أ- ألّا يتقدم خبرها على اسمها، فإن تقدم لم تعمل، نحو: (ما مسافرٌ زيدٌ)، الأصل: ما زيدٌ مسافراً.

ب- ألّا تَلِيَها (إنْ)، فإن تَلَتْها لم تعمل، نحو: (ما إنْ زيدٌ شاعرٌ). الأصل: ما زيد شاعراً.

جـ- ألّا يكون في جملتها (إلّا). فإن كانت لم تعمل، نحو: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

- إن الجملة الاسمية المنفية بـ (ما) أثبتُ من الجملة الفعلية المنفية بها أو بـ (ليس).

١٠- نفيُ الجمل الاسمية بـ (ما) يكون **للحال** عند الإطلاق، وإذا قُيِّد يكون بحسب القيد، تقول: (ما هو مسافراً): أي الآن، وتقول: (ما هو مسافراً غداً).

قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٦].

وهي في ذلك **للاستقبال**.

- وقد تكون **للمُضِيّ**، نحو: (ما سعيدٌ ظلمني حقّي بل خالد).

وقد تكون للحقيقة غير مقيدة بزمن كقوله تعالى: ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾ [المجادلة: ٢].

١١- وتنفي (ما) **الفعلَ المضارَع** فتخلّصه **للحال** عند جمهور النحاة، كقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هود: ٩١]، وكقولك: ما أدري، لمن سألك عن شيء تجهله.

ولكن قد تدل **على الاستمرار** أيضاً كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، وقوله: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [الأنعام: ٥٩].

- وهي **تنفي الماضي**، نحو (ما ذهبتُ إليه). وذكر بعضهم أنها تكون عند ذاك لنفي **الماضي القريب من الحال**. والحقيقة أنها كثيراً ما تكون كذلك، وقد تأتي لنفي **الماضي البعيد**، كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء: ١٦].

أهم المراجع التي استفدت منها عند كتابة هذه الصفحة اللغوية:

- الكفاف ليوسف الصيداوي، دار الفكر - دمشق ١٩٩٩م.
- معاني النحو للدكتور فاضل السامرائي- دار إحياء التراث العربي- ط١- بيروت -٢٠٠٧.
- معجم أخطاء الكتّاب لصلاح الدين الزعبلاوي - دار الثقافة والتراث- دمشق ٢٠٠٦م.

* * *